رابعاً: خلافة الأمام علي أبن أبي طالب (٣٥-٤٠هـ):

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان سنة ٣٥ هـ كان لابد للمسلمين من خليفة يقوم بأمرهم فاتجهت أنظارهم إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع) باعتباره أفضل المرشحين لهذا المنصب إلا انه كان زاهداً بالخلافة فأبي المبايعة وقال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فعادوا إلى مطالبته بقبول الخلافة، إلى أن قبلها خوفاً من عواقب الفتنة، في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٣٥ هـ، وبايعه المسلمون في المدينة ومكة ولم يمتنع عن مبايعته سوى عدد من الصحابة.

وخطب الخليفة الجديد في الناس بعد توليه الخلافة موضحا منهجه في الحكم ومؤكداً تمسكه بالحق والعمل بكتاب الله عز وجل، وقد بادر الإمام علي (ع) بعد توليه الخلافة إلى معالجة الأوضاع في الأمصار ، فأمر بعزل ولاة الخليفة عثمان في محاولة لامتصاص أسباب الفتنة، إلا أن هذا الشيء أدى إلى اندلاع النزاع وقيام الحروب بينه وبين هؤلاء الولاة، فقد رفض معاوية بن أبي سفيان الإذعان لأمر الخليفة، مستنداً في ذلك إلى رسوخ مركزه وقوة نفوذه في بلاد الشام التي كان والياً عليها، وأرسل معاوية إلى الإمام علي مطالبا بالاقتصاص من قتلة الخليفة عثمان مستهدفا إحراج الخليفة وخلق المزيد من المشكلات تمهيداً لمرحلة جديدة من مراحل الصراع حول الخلافة التي كان معاوية يسعى للحصول عليها بوسائل شتى، ولم يلبث طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام أن نقضا البيعة، وكان على الإمام علي أن يواجه الموقف بحزم، فبادر بإرسال عماله إلى الأمصار، ولم يتمكن عدد من هؤلاء العمال من دخول الأمصار فرأى الإمام علي ألا يبدأ بقتال خصومه إلا بعد أن يقطع الأمل في إمكانية الاتفاق والعودة إلى الجماعة، فعمد إلى مراسلة معاوية بن أبي سفيان ودعاه إلى الطاعة واخذ بيعة أهل الشام، كما كتب إلى أبي موسى الأشعري والي الكوفة حينذاك ودعاه إلى

مثل ما دعا إليه معاوية، فاستجاب أبو موسى وأعلن تأييد ومبايعة أهل الكوفة له، أما معاوية فلم يرد على الخليفة بشيء في كل الكتب التي أرسلها له.

وهكذا وجد الإمام علي (ع) نفسه مضطراً إلى مواجهة أعدائه والقضاء على الفتنة، فاستعد للمسير نحو الشام لقتال معاوية، فوصل الخبر من مكة بخروج الزبير وطلحة وعائشة بنت أبي بكر إلى البصرة في جموع كبيرة، فاضطر الإمام على إلى تغيير وجهته إلى العراق قبل أن يستفحل الأمر هناك، ووصلت حشود الزبير وطلحة وعائشة إلى نواحي البصرة فراسلوا عدداً من زعماء القوم فيها ودعوهم إلى الانضمام إليهم.

موقعة الجمل (جمادى الآخرة ٣٦ هـ):

عند وصول جيش الإمام علي (ع) إلى البصرة أصبح جيشه حوالي عشرين الفاء وقد حرص الإمام علي على دعوة خصومه وتذكيرهم بمبايعتهم له وحملهم مسؤولية إشعال الحرب بين المسلمين، غير أن هذه الدعوة لم تلق أذنا صاغية لديهم، واشتبك الطرفان في أواخر جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ، واستمر القتال يوما واحدا، وانتهى بانتصار جيش الإمام علي ومصرع طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وقدرت ضحايا هذه الموقعة بعشرة آلاف من الطرفين فيهم من وجوه الصحابة والقراء، وصلى الخليفة على القتلى من الطرفيين وأمر بدفنهم، كما أمر بإطلاق سراح الأسرى، أما في عائشة فقد أمر بإعادتها إلى المدينة و ولى عبد الله بن عباس على البصرة، فتمت بذلك سيطرة الخليفة على العراق كله، ونقل مركز الخلافة إلى الكوفة ليتمكن من متابعة تطور الأحداث في بلاد الشام والاستعداد لمواجهة معاوية بن أبي سفيان.

موقعة صفين (صفر ٣٧ هـ):

بعد أن اطمأن الإمام علي (ع) إلى استقرار الوضع في العراق، تهيا المواجهة معاوية بن أبي سفيان الذي كان يشكل خطراً كبيراً على الخلافة بسبب ما كان يتمتع به من

تأييد أهل الشام ومبايعتهم له، فزحف الإمام على نحو صفين قرية بين العراق والشام، ووصل معاوية على رأس جيشه إلى هذا الموقع، وجرت بين الطرفين مفاوضات للوصول إلى اتفاق للصلح إلا إنها لم تسفر عن نتيجة، فنشب القتال في شهر صفر سنة ٣٧ هـ ودام القتال عشرة أيام، وذكر الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك أن جيش معاوية أوشك على الهزيمة، فأشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على رؤوس الرماح، وقال له: ((هل لك في أمر أعرضه عليهم لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؛ ترفع المصاحف نقول: ما فيها بينكم وبيننا، فإن أبى بعضهم أن يقبلها، وجد فيهم من يقول نعم، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قبلوها جميعهم رفعنا هذا القتال عنا إلى أجل))، وكان الإمام علي قد أدرك إن لجوء معاوية إلى رفع المصاحف مكيدة يراد بها كسب الوقت وإيقاع الاختلاف بين صفوف جيشه، فأمر أصحابه بمواصلة القتال وحسم المعركة، إلا أنهم لم يستجيبوا لندائه بل هدده بعضهم بأن يفعلوا به كما فعلوا بالخليفة عثمان بن عفان وانقسم أصحابه على أنفسهم فأضطر إلى إيقاف القتال والقبول بالتحكيم بعد أن لاحظ أن الذين يرغبون باستمرار القتال كانوا قلة، واتفق الطرفان على أن يحكموا رجلين في هذا الأمر فرشح معاوية عمرو بن العاص، ورشح الإمام علي أبو موسى الأشعري وقررا إصدار حكمهما في رمضان سنة ٣٧ هـ في مكان بين العراق وبلاد الشام، وبهذا عاد الإمام علي إلى الكوفة وعاد معاوية الى الشام.

وقبل دخول الإمام علي الكوفة انفصل عنه اثنا عشر ألفا من رجاله ونزلوا (حروراء) إحدى قرى الكوفة فعرفوا بـ (الحرورية)، فكان ذلك أول ظهور الخوارج ونادوا بشعار (لا حكم إلا لله) ورموا عليا بالكفر لقبوله التحكيم، وهكذا انقسم جند الخليفة على أنفسهم وشقوا عصا الطاعة وأعلنوا – مخالفتهم له، ولم يستجيبوا لنداءاته المتكررة بترك الخلاف ومواجهة العدو.

وفي رمضان سنة ٣٧ هـ وهو الموعد المقرر لاجتماع الحكمين حضر أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص إلى (أذرح) شرقي الشام، فعمد عمرو بن العاص إلى فسح المجال لأبي موسى في إعلان قراره أولاً متظاهراً باحترامه لكبر سنه، فصعد أبو موسى المنبر فخلع علياً ومعاوية، وطلب أن يكون الأمر شورى بين المسلمين، وتلاه عمرو بن العاص الذي خلع عليا فقط وأثبت معاوية، فأنكر أبو موسى ذلك على عمرو وعده خدعة، ولا شك أن قرار التحكيم هذا جاء لصالح معاوية وزاد من احتمال ظفره بالخلافة.

وشرع الإمام علي (ع) في التأهب لقتال معاوية إلا إن أصحابه لم يساندوه ولم يستجيبوا له، فاضطروه إلى محاربتهم في (النهروان) وقتل زعيمهم عبد الله بن وهب الراسبي، وأعلنت مجموعات أخرى من الخوارج مخالفتها للإمام علي وخروجها على طاعته، أما معاوية فقد استغل قرار التحكيم ومضى لتحقيق أهدافه في الاستحواذ على الخلافة منتهزاً انشغال خصمه في إخماد الحركات المناوئة له في العراق، فأرسل معاوية عمرو بن العاص على رأس جيش إلى مصر واستطاع طرد واليها محمد بن أبي بكر، وخضعت مصر لمعاوية، ثم أرسل معاوية الجيوش إلى نواحي العراق والحجاز واليمن فاستقر له الأمر في أغلب هذه الأمصار.

استشهد الإمام على ونهاية عصر الراشدين:

لم تكن هزيمة الخوارج في النهروان قد أنهت وجودهم، فقد تمكن بعضهم من الفرار والاختفاء في الكوفة والقرى المجاورة لها، وعقدوا العزم على الانتقام لأصحابهم الذين قتلوا في النهروان والمواقع الأخرى، فاتفقوا على قتل الإمام علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة، واختاروا لهذه المهمة ثلاثة منهم هم: (عبد الرحمن بن ملجم المرادي) لقتل الإمام علي، (والنزال بن عامر) لقتل معاوية، (وعبد الله بن مالك الصيداوي) لقتل عمرو بن العاص فدخل ابن ملجم الكوفة واخذ يتربص للإمام علي

وكان في المسجد فلما دخل الإمام للصلاة ضربة بالسيف وذلك في التاسع عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ، توفي على أثرها بعد يومين، أما الاثنان الآخران فقد اخفقا في تنفيذ مهمتهم وفشلا في قتل معاوية وعمرو بن العاص، وبوفاة الإمام علي بن أبي طالب (ع) ينتهي عصر الخلافة الراشدة، ويبدأ عصر جديد في تاريخ الدولة العربية الإسلامية هو عصر الخلافة الأموية.